

دور نخبة المغرب الأوسط في تدريس المصنفات الغزالية

من القرن 6هـ/12م إلى القرن 10هـ/16م

The role of the central maghreb elite in teaching the Ghazali workbook

from the 6H/12G century to the 10H/16G century

1- إبراهيم بوجلال*، لوني سي علي - البليدة 2- الجزائر

ei.boudjellal@univ-blida2.dz

مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة (الجزائر)

2- أ.د. مراد تجنانت، لوني سي علي - البليدة 2- الجزائر

m.tadjenant@univ-blida2.dz

تاريخ الاستلام: 2023 /10/03 تاريخ القبول: 2023 /12/29 تاريخ النشر: 2023 /12/31

ملخص:

شهد القرن السادس هجري/12م، وفود الكثير من المصنفات المشرقية إلى العديد من حواضر المغرب الإسلامي، ولاسيما مصنفات أبي حامد الغزالي (ت505هـ/1111م) التي تعد من المصنفات الأكثر ذيوعا بين العلماء في ذلك العصر، حيث عرفت هذه الكتب- التي شملت العديد من العلوم النقلية والعقلية- عناية واضحة من قبل العلماء، خاصة الصوفية منها والفقهية والأصولية والعقدية التي تبوأَت مكانة هامة بين مختلف الكتب التي كانت مقررة في دروس نخبة المغرب الأوسط، مساهمة بذلك في تنشيط الحركة العلمية التي شهدتها المنطقة طيلة أربعة قرون من تاريخ الجزائر في العصر الوسيط.

كلمات مفتاحية: الغزالي، ابن العربي، المستصفي، المغرب الأوسط.

Abstract:

The 6H/12G century witnessed the arrival of several oriental works to many capital cities of the Islamic Maghreb, in particular the workbooks of Abu Hamid Al Ghazali (D505h/1111G), which represent the most famous workbooks amongst the scholars of that era. as such workbooks, Which included lots of the translational and mental sciences have known particular care by scholars, mainly works his literature in terms of Sufi, Jurisprudence, Fundamentalism and doctrines that reserved an important place in the midst of the various workbooks that were prescribed in lessons of the central Maghreb, Thus contributing in the activation of the scientific movement witnessed by that region throughout four centuries of the history of Algeria in the middle Ages.

Keywords: GHazali; Ibn Arabi ; Almostasfa; Central Maghreb.

● مقدمة

أخذ إنتشار التيار الغزالي في المغرب الاسلامي مكانة هامة في الدراسات التاريخية والفكرية، التي حاولت رصد آثاره على مختلف الأصعدة: السياسية والعلمية والإجتماعية، ولما كانت هذه الدراسات تركز على مجال المغرب الاسلامي عموما، تبين أنها لا تبحث كثيرا في أثر مصنفات أبو حامد الغزالي في ذبوع تياره بالمغرب الأوسط، والتي لم تأخذ نصيبها الكافي من البحث في هذا الجانب.

لذلك هذا البحث يسلط الضوء على انتشار مؤلفات أبو حامد الغزالي في المغرب الأوسط من القرن السادس هجري إلى القرن العاشر هجري، ويعرض كيفية ذبوعها بين العلماء والطلبة حتى وصولها إلى المغرب الأوسط، و العناية التي حظيت بها من عالم إلى آخر على إختلاف مشارهم العلمية وميولاتهم، وكشف المكانة التي حجزتها هذه المصنفات بين المصنفات الأخرى الموضوعية في نفس العلوم خلال الفترة المدروسة. ومن هنا وجب الاستشكال عن ماهي أبرز مؤلفات أبو حامد الغزالي المنتشرة في المغرب الأوسط؟ وكيف ساهمت في رواج الفكر الغزالي؟

1. ترجمة الغزالي ومصنفاته:

1.1 ترجمته:

هو حجة الإسلام الإمام محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، ولد بمدينة طوس عام 450هـ/1159م، وكان والده يشتغل بغزل الصوف، ولما حضرته وفاته أوصى به مع أخيه عند صاحب له متصوف، فقام وتكفل بأمور العناية بهما وتربيتهما، وتولى شؤون الانفاق عليهما من تركة أبيهما المتوفي، التي كانت نزرا يسيرا، ثم أرسلهما إلى أحد المدرسة للتعلم، ففتح الله عليه بالعلم الوافر، لينتقل أبو حامد الغزالي بعد ذلك إلى جرجان، هناك قرأ فيها على الإمام أبو نصر الإسماعيلي، ثم سافر إلى نيسابور وصاحب إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت478هـ/1085م)، وكان الإمام الجويني من خيرة مشايخه في تكوينه العلمي فبرع بعد مصاحبته والجلوس في حلقاته في العديد من العلوم¹.

بعد وفاة شيخه أبو المعالي الجويني قصد الغزالي بغداد، ليكون ضمن أختيار العلماء في مجلس وزراء الدولة العباسية نظام الملك (ت485هـ/1092م)، وحظي عند العباسيين بالتوقير والعناية الرفيعة، وناولوه التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد عام 484هـ/1091م، وفي هذه الحاضرة العلمية لمع شأن الغزالي وشرع في تأليف جملة من المصنفات، ثم وافته المنية عام 505هـ/1111م بموطنه الأصلي (طوس) بخراسان بعد رحلات عديدة بين المدن المشرقية².

2.1 مصنفاته:

شملت مصنفات الإمام الغزالي مختلف العلوم العقلية والنقلية، فقد صنف في الأصول والفقه والفلسفة والتصوف والأخلاق والعقيدة، وغير ذلك، ومن أهم مؤلفاته في التصوف، مصنفه النفيس "إحياء علوم الدين"، "بداية الهداية" و"منهاج العابدين"، وفي الفقه ثلاثة كتب "الوسيط، الوجيز، البسيط"، وله كتاب مشهور في أصول الفقه سماه "المستصفى من علم أصول الفقه"، أما في العقيدة فله "الرسالة القدسية في قواعد العقائد" وكتاب "مقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"، وغير ذلك من الكتب التي اجتاحت العالم الاسلامي مشرقا ومغربا³.

¹ - شمس الدين الذهبي (ت 748هـ/1374م)، سير أعلام النبلاء، ج19، تح شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت-لبنان، 1989م، ص 323.

² - نفس المصدر، ص323.

³ - نفس المصدر، ص 323، 334.

2. تدريس مصنفاته الصوفية:

كان للمغرب الأوسط نصيب في تدريس مصنفات الغزالي عقب دخولها المغرب الاسلامي منذ مطلع القرن السادس هجري/12م، وأهمها:

1.2 كتاب إحياء علوم الدين:

كان إحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي على عهد علي بن يوسف بن تاشفين (500هـ-537هـ) أثر عكسي لما أراده فقهاء الدولة المرابطية من حظر انتشار الكتاب داخل المنظومة التربوية، بل أصبح مثار إهتمام العلماء الذين أقبلوا على مطالعته ودراسته على شيوخ التصوف، كتلميذه أبو بكر ابن العربي (ت543هـ/1149م) بعد رجوعه إلى الأندلس عام 494هـ/1100م، هناك حملته عنه أبو الحسن ابن حرازم (ت565هـ/1170م) للمرة الأولى، ليكرر تحصيله على تلميذ الغزالي الثاني عمه محمد بن حرازم¹.

مهدت هذه المشيخة الطريق لأبي الحسن ابن حرازم للإعتكاف على دراسة الكتاب والاجتهاد في فهمه، وتغيير موقفه المعارض منه بعد فهمه، ليقوم هو الآخر بتمهيد شيوخه وتدريبه في مجالسه الصوفية².

ساهم تدريس ابن حرازم لكتاب "الإحياء" بحاضرة فاس في ذيوعه، ووصول بعض حاملية الفاعلين للمغرب الأوسط، فكان في مقدمتهم الشيخ أبو مدين ابن شعيب (594/1198م) بعد دراسته هناك بفاس، ذلك مالمح له المؤرخ محمد بن عيشون الشراط (1109هـ/1797م) بقوله: (فصار يتردد إلى مجلسه في طلب العلم وإلى مجلس غيره، فقال أبو مدين: فكنت كلما سمعت من الشيخ أبي الحسن يعلق بقلبي فانتفع به وما أسمع من غيره لا يعلق بي)³. ويرى المتصوف ابن

¹ - أحمد بابا التنبكتي (1036هـ/1627م)، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تح عبد الحميد عبد الله هرامة، دار الكاتب، ط2، طرابلس-ليبيا، 2000م، ص 310.

² - نفس المصدر، ص 310.

³ - محمد بن عيشون الشراط (ت 1109هـ/1197م)، الروض العطر للأنفاس باخبار الصالحين من أهل فاس، تح زهراء النظام، مطابع النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء-المغرب، م1997، ص 57. وابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1408م)، أنس الفقير وعز الحقيير، تح محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، (د ط)، الرباط-المغرب، (د ت ن)، ص 16.

قنفذ(ت810هـ/1408م) في هذا المجلس حقق غايته الصوفية بما فتح الله عليه من مواهب علمية وأسرار ربانية عرف بها توجهه بالعمل حتى بلغ مقاما رفيعا في التصوف¹.

كان كتاب إحياء علوم الدين من أهم المصنفات التي كان الشيخ أبو مدين بن شعيب يعكف على تدريسها خاصة في الدروس المتعلقة بباب المذاكرة، مفضلا إياه عن عن سائر المصنفات الصوفية، "كالرسالة القشيرية"² و "الرعاية" للحارث بن أسد المحاسبي(ت243هـ/857م)³ وغيرها من كتب التصوف⁴. وقد برزت أهمية مدرسة أبي مدين في ذبوع كتاب "الإحياء" من خلال كثرة المريدين الذي ربما وصل إلى نحو الألف⁵.

لقد كان أبو الفضل النحوي(513هـ/1120م) في قلعة بني حماد في المغرب الأوسط، يولي لهذا المصنف مكانة مرموقة من خلال المواظبة على مطالعته دون سائر المصنفات، حتى جعل له توقيتا خاصا لمطالعته طيلة شهر رمضان، فقسم الكتاب إلى ثلاثين جزء، يقرأ كل يوم جزء حتى انتهى منه مع نهاية رمضان⁶، وله في مدح مؤلف شيخه الروحي الإمام الغزالي بقوله شعرا جاء فيه:

أَبُو حَامِدٍ أَحْيَا مِنَ الدِّينِ عِلْمَهُ وَجَدَدَ مِنْهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَهْدِ
وَوَفَّقَهُ الرَّحْمَانُ فِيمَا آتَى بِهِ وَأَلْهَمَهُ فِي مَا أَزَادَ إِلَى الرُّشْدِ

¹ - ابن قنفذ ، المصدر السابق، ص 16.

² - هو الإمام الزاهد أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري، الخراساني، من كبار المتصوفة. شافعي المذهب، صاحب الرسالة القشيرية المشهورة لدى المغاربة. للمزيد أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 85.

³ - هو الزاهد شيخ الصوفية أبو عبد الله الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي، تفقه وكتب الحديث ، وعرف مذاهب المتصوفة، له مؤلفات في علم التصوف، أكثرها شيوعا كتابه المعروف برعاية المحاسبي. للمزيد أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج12، ص110.

⁴ - أبو العباس الغبريني (ت714هـ/1315م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت-لبنان، 1979م، ص 23.

⁵ - علي عشي، المغرب الأوسط في عهد الموحدين، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ والآثار، جامعة الحاج لخضر باتنة(الجزائر)، 2012م، ص 120.

⁶ - ابن مريم التلمساني (كان حيا سنة1025هـ/1616م)، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تح عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت-لبنان، 2014 م، ص 466.

فَفَصَّلَهَا تَفْصِيلَهَا فَأَتَى بِهَا فَجَاءَتْ كَأَمْثَالِ النُّجُومِ الَّتِي تَهْدِي¹.

شَرَعَ أبو الفضل النحوي في التدريس بالقلعة لمجموعة من تلامذته ممن قام بتنشئتهم وفق تعاليم الغزالي وكتاب "الإحياء"، أمثال أبي عبد الله الملقب ابن الرمامة (ت567هـ/1171م) الذي درسه عنه في أحد المساجد القريبة من بيت الشيخ أبي الفضل بن النحوي، وكانت دروسه في هذا الحقل المعرفي تترك انطبعا واضحا لدى الطلبة².

درس بعض الصوفية كتاب التصوف للغزالي عن طريق الصدفة، ذلك ما أشار إليه القاضي أبو عمران المازوني (القرن 9هـ/15م) في ترجمته للمتصوف أبو عبد الله محمد بن الهواري التنسي الملقب بالأبرش (عاش في القرن 7هـ/13م) وسيرته مع مصنف الغزالي، بقوله: (قال: أتيت في ابتداء أمري عبد السلام التونسي، فقلت له: دلني على أمر، فقال لي: اذهب لسوق الكتب، فأول كتاب تجده في يد الدلال، فادفع عليه ثمنه ولا تفتحه حتى تأتيني به، ففعلت فجئته به، فقال لي: هذا السفر من الإحياء، وقد أرشدك مولاك لما تنظر فيه، فنسخت كتاب الإحياء، وعكفت عليه حتى حفظته)³.

واستفاد الفقيه ابن خطيب القسنطيني (ت810هـ/1408م) من رحلته للمغرب الأقصى، بحمل مختصر "الإحياء" من متصوفة حاضرة سلا، ومن ثم توجه إلى حاضرة فاس⁴، التي لقي بها المتصوف أحمد بن عاشر الأندلسي (ت765هـ/1364م) الذي عمل له مراجعة في كتاب "الإحياء"⁵.

درّس كتاب "الإحياء" ومختصره بحاضرة تلمسان الفقيه أحمد بن زاغو المغراوي التلمساني (ت845هـ/1442م) وممن حضر مجلسه الغني بالفوائد الصوفية، الرحالة أبو الحسن علي

¹ - عماد الدين الأصبهاني (ت597هـ/1201م)، خريدة القصر وجريدة العصر، تح محمد بهجة الأثري، مديرية الثقافة العامة، ط1، العراق، (د ت ن)، ص 882.

² - محمد بن عبد الكريم التميمي (ت603-604هـ/1207-1208م)، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس ومايلها من البلاد، ج2، تح محمد الشريف، مطبعة طوب بريس، ط1، الرباط-المغرب، 2002م، ص 172.

³ - أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ق8-9هـ/14-15م)، صلحاء وادي الشلف، تح غرداوي نور الدين، دار الخلدونية، ط1، الجزائر، 2017م، ص 398.

⁴ - التنبكي، نيل الابتهاج، ص ص 88-90.

⁵ - نفس المصدر، ص 97. وأحمد بابا التنبكي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج1، تح محمد مطبع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، المغرب، 2000م، ص 94.

القلصادي(ت 891هـ/1487م) خلال فترة نزوله بالمدينة، رفته تلامذته، وكان الفقيه أحمد بن زاغو المغراوي يُدرِّسُ الكتابين يوم الخميس والجمعة من كل أسبوع¹.

شاع كتاب "الاحياء" في بعض البيوتات العلمية، نذكر من ذلك عائلة المرازقة الذين تناقلوه بالسند بداية من دراسته عند الفقيه ابن مرزوق الخطيب(ت781هـ/1379م) عن والده، الذي كان يمتلك ملكة الفهم والتعمق في قضايا التصوف الغزالي التي وصل لها بفعل تعدد مشايخه في هذه الطريقة²، ذلك ما جعل ابن مرزوق الخطيب يتمسك بتوصيات والده في المداومة على مطالعته، لكونه من الكتب المورثة للعلم والمعرفة إذا واضب العبد علي مدارسته³، وهو ما دفعه إلى توسيع دائرة علمه في الطريقة الغزالية بتنوع مشايخه في تحصيله، فخلال رحلته المشرقية صاحب واستفاد من الأمير أبي الحجاج الذي كان من الداعين للتمسك بكلام الغزالي والسير خلف طريقه الصوفي والتبرك به، ونفس الأمر حدث له مع مشايخ الحرمين الشريفين في توصيته حول فضائل الكتاب وعلومه⁴.

وروى المتصوف عبد الرحمن الثعالبي(ت875هـ/1470م) في رحلته المشرقية عام 816هـ/1415م، كتاب "المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار" لأبي زرعة عبد الرحيم العراقي(ت806هـ/1404م) الذي قام فيه مؤلفه بتخريج أحاديثه في كبير ومتوسط وصغير، وروى نفس الكتاب من طريق شيخه محمد بن مرزوق الخطيب الذي كان قد أخذه عن مؤلفه⁵، وقد وقف الثعالبي على نص الاجازة التي كتبها الشيخ عبد الرحيم العراقي لتلميذه ابن مرزوق ذكر فيه كتابه على إحياء الغزالي في بيت شعري ، فقال:

وَعِنْدِي مِنَ التَّأْلِيفِ تَخْرِيْجٌ مَا حَوَى إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ رَمَتْ إِكْتِنَاؤَهُ⁶.

¹ - ابن مريم ، المصدر السابق، ص 118.

² - ابن مرزوق الخطيب(ت781هـ/1379م)، تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام، تح سعيدة بحوت، دار ابن حزم، ط1، لبنان، 2011م، ص 907.

³ - نفس المصدر، ص 906.

⁴ - نفس المصدر، ص 909.

⁵ - عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي(ت875هـ/1470م)، غنيمة الوافر وبغية الطالب الماجد ويليها رحلة عبد الرحمن الثعالبي، تح محمد شليب شريف، دار ابن حزم، ط1، بيروت-لبنان، 2005، ص 59.

⁶ - الثعالبي، المصدر السابق، ص 73.

نلاحظ على تدریس ابن مرزوق لكتاب "الإحياء" بتلمسان أنه كان يتجنب الربع الأخير منه، فقد قام طالبه أبو الفرج بن أبي يحيى الشريف التلمساني بقراءة ثلاثة أرباع أولى من الكتاب فقط، ويرجع امتناعه عن تدریس الربع الأخير من الكتاب لأنه كان يرى أمور لم يستحسنها فيه¹.

ذاع مختصر الإحياء للبلالي (ت820ه/1418م)² بين المختصرات الموضوعية في كتاب "الإحياء" منذ القرن الثامن هجري/14م، وحقق انتشارا واسعا في أصقاع العالم الإسلامي، لاسيما في دروس المغاربة الذين قدموه عن غيره لصغر حجمه وسهولة فهمه بأقل جهد³.

ولقد أجاز الفقيه الخطيب ابن غازي تلميذه ابن موسى بن علي بن هارون المطغري عام 906ه/1501م، في كتابي "القانون" للقاضي ابن العربي و"مختصر الإحياء" للبلالي بجانب مجموعة من المصنفات التي قرأها قراءة بحث وتحقيق بعد قضاء تسعة وعشرين عام في ملازمته⁴.

يمكن القول من خلال ما سبق أن الأرضية الصوفية في المغرب الاوسط تم تعييدها مع القرن السادس هجري/12م وبعدها، على قاعدة كتب: الإحياء ومختصراته والرسالة القشيرية والرعاية للمحاسبي وقوت القلوب للمكي.

2.2 كتاب منهج العابدين:

هو كتاب صوفي يأتي من حيث قيمته في مرتبة الوصافة عند متصوفة المغرب بعد كتاب الإحياء، حيث كانت دراسته عاملا مساعدا في فهم التصوف الغزالي عموما وكتاب "الإحياء" خصوصا، ومن المطالعين لهذا الكتاب من فقهاء القرن السادس هجري/12م، الفقيه عبد الله الأنصاري رفته صاحبه

¹ - التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 138.

² - هو محمد بن علي بن جعفر العجلوني شمس الدين الملقب بالبلالي، عالم صوفي نزل القاهرة بمصر حوالي 790ه، وكان على المذهب الشافعي، من مصنفاته: مختصر الإحياء للغزالي، ومختصر الروضة في الفقه. للمزيد أنظر: رضي الدين العامري (ت864ه/1459م)، بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين، تح أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، ط1، بيروت-لبنان، 2000م، ص 103، 102.

³ - نفس المصدر، ص 102.

⁴ - التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص ص 345، 346.

أبي مدين شعيب، هذان العالمين كانت لهما سعة الإطلاع على مختلف المصنفات الصوفية في مساهمتهما المعرفي¹.

وحصل الفقيه ابن مرزوق الحفيد(ت842هـ/1439م) الإجازة على كتاب "منهاج العابدين"، يضاف له كتاب "منهاج البيضاوي" وكتاب "جمع الجوامع" للسبكي خلال فترة تواجده بمصر، من شيخه محمد بن عبد اللطيف بن كويك المصري².

ويعد هذا الكتاب من المقررات كتب التصوف التي جلس لتدريسها الفقيه ابن مرزوق الحفيد في حاضرة تلمسان التي كانت من أهم الحواضر العلمية لطلاب العلم في ذلك الوقت مع بجاية، حيث قرأه عنه الرحالة القلصادي في فترة مكوثه بالمدينة³، وكذلك روى عنه نفس الكتاب عبد الرحمن الثعالبي في الأيام الاخيرة من شهر رجب عام 820هـ/1417م⁴.

كان كتاب "منهاج العابدين" ضمن المصنفات التي نال فيها ابن غازي الإجازة عن شيخه الفقيه أبو محمد عبد القادر بن أحمد البكري المقدسي الشافعي عند نزوله بالمغرب عام 880هـ/1476م، بقوله:(منهاج العابدين، اخبرني به عن جمال الدين بن جماعة خطيب القدس قراءة عليه)⁵.

3.2 كتاب بداية الهداية:

بقدر ماكان المتصوفة مقدمين لكتاب "الإحياء" و"منهاج العابدين" في منظومة التعليم الصوفي على طريقة شيخهم الروحي الغزالي، كان بعض المغاربة معتنين بكتابه الآخر "بداية الهداية"، ذلك ما تم تسجيله ضمن المصنفات التي قرأها الفقيه محمد بن علي بن غازي(ت910هـ/1504م) صاحب الفهرس عن شيخه ابن أبي سعيد خلال مجالسته له، فقد قرأ نصيب من كتاب بداية الهداية قراءة بحث وتدقيق، تم خلالها منحه الإجازة في تلك المصنفات عن شيخه، منها كتاب الهداية للغزالي⁶.

¹ ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 39. و أبو يعقوب التادلي الملقب بابن زيات(ت617هـ/1220م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح أحمد توفيق، (د م ن)، ط1، الرباط-المغرب، 1984م، ص 324.

² - الثعالبي، المصدر السابق، ص 117.

³ - التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 140. و نيل الابتهاج، ص 505.

⁴ - الثعالبي، المصدر السابق، ص 117.

⁵ - محمد بن علي بن غازي(ت910هـ/1504م)، فهرس، تح محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر، ط1، تونس، 1984، ص ص 121، 124.

⁶ - ابن غازي، المصدر السابق، ص ص 59، 60.

لقد شرع ابن الغازي في السير على مذهب الغزالي في تعاطي علوم التصوف وغيرها، أخذنا بنصيحة أحد أصحابه بعد مخاطبته بقوله:

إِذْكَبَ جَوَادَ النَّحْوِ ثُمَّ لَيْكُنْ مِنْكَ عَلَى الْمُنْطِقِ أَكْبَابٌ
ثُمَّ تَصَوَّفُ وَتَفَلْسَفُ فَمَا لِلْعِلْمِ إِلَّا مِنْهَا بَابٌ¹.

3. تدريس كتابه المستصفى من علم الأصول:

عرف كتاب "المستصفى من علم أصول الفقه" تداولاً واسعاً بين الأصوليين في مختلف حواضر المغرب الإسلامي عموماً والمغرب الأوسط خصوصاً.

1.3 تدريس المستصفى إلى جانب مؤلفات أصولية أخرى:

يرجع الفضل الأكبر في تدريس المصنفات الأصولية المشرقية إلى عامل الرحلة العلمية التي قام بها علماء المغرب الإسلامي نحو المشرق ودراساتهم هناك على علماءها، فتلك الرغبة شديدة على تحصيل العلوم ساهم في حمل بعض المصنفات إلى الحواضر التي إستقروا بها وعكفوا فيها على تدريس أهم المؤلفات في أصول الفقه مع مطلع القرن السادس هجري/12م، كتدريس كتاب "البرهان" و"الإرشاد" لأبي المعالي الجويني و"المستصفى" لأبي حامد الغزالي و"الملخص في أصول الفقه" لابن نصر المالك².

اهتم الفقيه أبو بكر بن العربي بتدريس أصول الفقه خاصة المؤلفات الأصولية للإمام الغزالي بحاضرة قرطبة، ثم إنتقلت من هناك إلى المغرب الأوسط لاحقاً، فهذا الفقيه أبو العباس الغبريني تم تحصيله لكتاب "الإرشاد" للجويني من طرف الفقيه الأندلسي أبو عبد الله الكتاني الذي هو الآخر حملته عن تلامذة ابن العربي، كالفقيهين أبو الحسن بن السراج وأبو محمد عبيد الله³.

في حين حدث الغبريني، بكتاب "المستصفى من علم الأصول الفقه" من طريق سلسلة من الأندلسيين، ذلك ما أخبر به، بقوله: (وحدثني بكتاب المستصفى لأبي حامد الغزالي، الفقيه أبو العباس أحمد بن

¹ - نفس المصدر، ص 69.

² - يوسف علي بن إبراهيم العريني، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدنين، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط1، الرياض-السعودية، 1995، ص 272.

³ - الغبريني، المصدر السابق، ص 396.

محمد الصديقي عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن قاسم عن أبي بكر ابن خير عن أبي بكر ابن العربي القاضي عنه¹.

ساهم بروز بجاية في القرن السابع الهجري/13م، كحاضرة علمية تختص بتدريس علم الأصول الفقه، محل جذب العلماء الأصوليون، خاصة الأندلسيين المتمكنين في الكتب الأصولية، حيث استقر بها الفقيه الأصولي أبو العباس أحمد بن خالد المالقي (ت660هـ/1262م) بعد دراسته في الأندلس ثم بمراكش، لينتهي به المطاف في بجاية، التي جعل بها منزله مدرسة تعليم المصنفات الأصولية المشهورة، ككتابي "الإرشاد" للجويني و "مستصفي" الغزالي².

لا ننكر دور حاضرة فاس في القرن السابع هجري، وأثرها في مد المغرب الأوسط بتلك المؤلفات بفعل عامل الرحلة العلمية، كرحلة الفقيه ابن الخطيب القسنطيني (ت810هـ/1408م) التي عرفت مجالسة نخبتها العالمة والإستفادة منهم، إذ استفاد من مجلس الفقيه أبو العباس المراكشي المكتي ابن البناء (ت721هـ/1322م) في قراءة كتاب "المستصفي من علم الاصول"، رفقة الفقيه عبد الرحمن اللجائي (ت773هـ/1371م)³، ورحل من حاضرة تلمسان نحو حاضرة فاس، الفقيه محمد بن أبي بركان رفقه والده في صباه، حيث تمكن من صقل معرفته في أصول الفقه من خلال قراءة كتابي: "مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل" لابن الحاجب (ت646هـ/1249م)⁴ و "المستصفي من علم الأصول" على الأصولي أبو زيد بن أبي حجة⁵.

شهد تعليم مصنف "المستصفي" تدريس مصنفات أصولية ذات صلة وطيدة بالغزالي، من أشهرها مصنفات شيخه أبو المعالي الجويني وبعض مؤلفات تلميذه أبو بكر بن العربي، حيث حصّل عليها الرحالة التجاني في القرن السابع هجري/13، بعد جلوسه في درس الفقيه الأصولي أبي فارس بن عبد

¹ - الغبريني، المصدر السابق، ص 397.

² - ابن غازي، المصدر السابق، ص 73.

³ - التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 85.

⁴ - هو الإمام المقرئ الأصولي الفقيه النحوي، أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي، الملقب بابن الحاجب (ت646هـ/1249م) من كبار علماء المالكية بمصر، له مصنفات في عدة علوم، أشهرها مختصر ابن الحاجب الفقيمي، ومنتهى السؤل والأمل في علمي الأصول و الجدل. للمزيد أنظر:

الذهبي، المصدر السابق، ج23، ص 264.

⁵ - التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 481.

العزیز بحاضرة طرابلس، الذي كان يفضل مذهب الشيخين أبي المعالي الجويني وأبي حامد الغزالي في دروسه الأصولية والفقهية¹.

نقل الرحالة التجاني مشيخة الأصولي أبو فارس بن عبد العزيز، التي بدأها على الفقيه أبي محمد عبد الوهاب بن محمد الهنزوتي التونسي(663ه/1236م) بقراءة بعض من كتابي، "المحصل في أصول الفقه" للفقيه ابن العربي و "المستصفي" للغزالي، ثم ليستفيد فيما بعد من الفقيه أبي محمد عبد الحميد بن أبي بركات الملقب بابن أبي الدنيا في قراءة "الإرشاد" و "البرهان" للجويني ونصيب من "لمستصفي"².

2.3 رحلات العلماء ودروها في إنتشار تدريس المستصفي:

كان تنقل العلماء بين حواضر المغرب الإسلامي من الامور التي صعبت رصد مسار حركة كتاب "المستصفي"، خاصة أن الذين حملوه قاموا بتدريسه في المناطق التي حلوا بها مع العلوم أخرى، فهذا الرحالة العبدي (ت720ه/1321م) في زيارته لحاضرة مالقة قرأ "مختصر المستصفي" على الفقيه أبي مطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي، وهو ممن زار المغرب الاوسط وأفاد بما عنده وإستفاد بما وجده لدى علمائها³، وهذا المقري يقدم لنا واحد من الرحالة الأندلسيين المتنقلين بين بقاع حواضر المغرب والمشرق الاسلامي، الفقيه أبو عبد الله بن جابر محمد الضير(ت780ه/1389م) الذي قدم تورية في "المستصفي" ضمن جملة من المصنفات التي أعجب بها، بقوله:

عَرَّائِسُ مَلِيحِي كَمِ أَتَيْنَ لَغَيْرِهِ	فلما رأته قلن هذا من الأكفأ
نَوَادِرُ آدَابِي دَخِيرَةِ هَاجِدٍ	شَمَائِلُ كَمِ فَمِينِ مَنْ نُكَّتِ تُلْقَى
مَطَالِعُهَا هُنَّ الْمَشَارِقُ لِلْعَلَا	قَلَائِدُ قَدْ رَاقَتْ جَوَاهِرُهَا رَصْفًا
رِسَالَةٌ مَدْحِي فِيكَ وَاضِحَةٌ، وَوَلِي	مَسَالِكُ تَهْدِي لِتَنْبِيهِ مَنْ أَعْفَى

¹ - محمد بن عبد الله التجاني (عاش في القرن 8ه/14م)، رحلة التجاني، تح حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب، ط1، ليبيا، 1981م، ص 255.

² - نفس المصدر، ص ص 256.257.

³ - محمد العبدي البلسي (توفي نحو720ه/1320م)، الرحلة المغربية، تح سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط1، الجزائر، 2007م، ص ص 38،39.

فَيَا مُنْتَهَى سُوْلِي وَمَحْصُولَ غَايَتِي لِأَنَّ تَ امْرُؤًا مِنْ حَاصِلِ الْمَجْدِ مُسْتَصْفَى¹.

بدأت نخبة المغرب الأوسط في القرن الثامن والتاسع هجري/14 و15م، تكشف مردودها في تعليم المصنفات الأصولية، فقد قام الفقيه الاصولي محمد بن نجار التلمساني(ت846هـ/1442م) بتدريس كتاب "المستصفى" وكتاب "منتهى السؤل" لابن الحاجب و "المهاج" للبيضاوي بحاضرة تلمسان، ودرسه عنه أبو علي القلصادي في تلك الفترة²، ثم انتقل القلصادي إلى الفقيه ابن مرزوق الحفيد(ت842/1438م) فدرس عليه مختلف كتب أصول الفقه المشهورة في الساحة العلمية، والتي لم يبق بعدها لكثرتها³.

عمل القلصادي على تنويع مشايخه في دراسة المستصفى، فقرأ "مختصر المستصفى" في الأندلس بمدرسة إبراهيم بن فتوح العقيلي(ت867هـ/1462م) مع عدة علوم أخرى قبل انتقاله إلى المغرب⁴، ثم أعاد دراسة المستصفى عند حلوله بمصر على رفيقه أبي الفضل المشدالي(ت864هـ/1459م) لما وجده فيه من تقدم في هذا العلم وعلو شأنه وثناء مشايخه عليه⁵.

كان كل من الفقيه ابن عرفة التونسي(ت808هـ/1406م)⁶، و أبو العباس الونشريسي(ت914هـ/1509م) صاحب كتاب المعيار، ممن لهما قراءة في متن الكتاب وكان يحيلان إليه القارئ في بعض نوازلهما¹.

¹ - أحمد بن محمد المقري التلمساني(ت1041هـ/1632م)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2، تح إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت-لبنان،1988م، ص 664.

² - أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي(ت891هـ/1487م)، رحلة القلصادي، تح محمد أبو الأجنان، الشركة التونسية للتوزيع،(د ط)، تونس، 1978م، ص 101. و التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 159. وابن مريم، المصدر السابق، ص ص 389،390.

³ - التنبكتي، كفاية المحتاج، ص ص 138،140.

⁴ - القلصادي، المصدر السابق، ص 167.

⁵ - شمس الدين السخاوي (902هـ/1497م)، الضور اللامع لأهل القرن التاسع، ج6، دار الجبل، (د ط)، بيروت-لبنان، (د ت ن)، ص 15.

⁶ - أبو العباس الونشريسي(ت914هـ/1509م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج12، تح محمد حجي وآخرون، دار الغرب الاسلامي، (د ط)، بيروت-لبنان، 1981، ص 40.

إتضح جليا مدى العناية التي أولاها علماء أصول الفقه لكتاب المستصفي للغزالي في المغرب الاوسط منذ القرن السادس هجري/12م، يضاف له "شفاء الغليل" الذي درسه الفقيه الشريف التلمساني بعد حمله عن والده، وهو بلاشك قام ببرمجته في دروسه سيرا على خطى والده بتلمسان².

3.3 طريقة تدريس المستصفي:

تقوم طريقة الغزالي في تدريس كتابه "المستصفي في علم الاصول" بالتعويل على علم المنطق كعلم مساعد في فهم القضايا الأصولية، وهذه الطريقة لم يرحب بها الأصولي أبو العباس المالقي، حيث كان يفضل الطريقة القديمة في درسه متجنباً طريقة المتأخرين التي جاء بها الغزالي وفخر الدين الرازي³. الفرق بين الطريقتين، في نظر المؤرخ ابن خلدون هي: (أن طريقة المتقدمين هي كتابة الفقهاء تكون أمس بالفقه وأليق بالفروع، لكثرة الأمثلة منها والشواهد، وبناء المسائل فيها على النكت الفقهية، بينما طريقة المتأخرين هي كتابة المتكلمين التي تميل إلى الاستدلال العقلي ما أمكن، لأنه غالب فنونهم ومقتضى طريقهم)⁴.

شكل ذبوع طريقة المتأخرين في تدريس أصول فقه ردود المعارضة من بعض الاصوليين، كأستاذ الغبريني، الأصولي أبو محمد عبد المجيد بن أبي بركات الطرابلسي (ت684هـ/1285م) فكان تعليمه للفقه وأصول الفقه يذهب مجرى طريقة المتقدمين، في الفصل بين علم أصول الفقه والمنطق⁵.

هناك من الأصوليين من حاول التوفيق بين الطريقتين (متقدمين، متأخرين) في دروسه الأصولية، أمثال أبو علي الناصر الدين المشدالي البجائي (ت731هـ/1331م) فبعد تحصيله لطريقة المتقدمين والمتأخرين، قام بمزج الطريقتين في مدرسته الأصولية ببجاية⁶.

ولقد تسربت طريقة الغزالي إلى علوم الفقه من خلال الاستفادة من المنطق في الدروس الفقهية، ذلك ما تبين لدى الفقيه عبد الوهاب بن عبد القادر الزواوي (ت660هـ/1261م)، الذي كان له قدم

¹ - نفس المصدر، ج5، ص ص 382، 390.

² - ابن مريم، المصدر السابق، ص 241.

³ - الغبريني، المصدر السابق، ص 73.

⁴ - عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1406م)، مقدمة، مراجعة محمد الناصر الدين الأبانبي، دار ابن

الجوزي، ط1، القاهرة- مصر، 2010، ص 386.

⁵ - الغبريني، المصدر السابق، ص 110.

⁶ - الغبريني، المصدر السابق، ص ص 229، 230.

راسخة في المنطق، مما ساعده في تدريس الفقه بالمنطق لتلميذه يوسف بن محمد الطرسوسي(ت729هـ/1328م) هو ما وضعه المؤرخ ابن فرحون المالكي(ت799هـ/1397م) بقوله: (كان يقرئ تلقين القاضي عبد الوهاب، فيقرر مسائله بنظم الأقيسة والتعاريف على القوانين المنطقية)¹.

4. تدريس مصنفاته الفقهية:

ذاع تدريس مؤلفات الغزالي الفقهية بالمغرب عقب دخولها مع القرن السادس هجري/12م، وقد أعجب جمع من المغاربة بمصنفاته الفقهية خصوصا، كالوجيز والبسيط والخلاصة التي كانت من أنفس منجزاته الفقهية على المذهب الشافعي²، حيث قام بمدحها الكاتب أبو عبد الله محمد (ت758هـ/1357م) المنتقل بين المغرب والأندلس خلال القرن الثامن هجري/14م، في قوله: (فلك في جمهرة الشرف النسب الوسيط، ومن جمل المآثر الخلاصة والبسيط، وسبل الخيرات لها برعايتك تيسير ومحاسن الشريعة لها بتحصيلك تحبير)³.

ظهر تدريس كتاب "الوجيز في الفقه" للغزالي في المغرب الأوسط مع الفقيه محمد بن مرزوق الحفيد، فقد كان تدريسه له بحاضرة تلمسان ضمن مصنفات بعض الشافعية والمالكية والحنابلة في الفقه، وكان أبو الفرج بن أبي يحيى الشريف التلمساني من تلامذته المحصلين عنه هذا الكتاب، والمسموح له بتدريسه بعد نيله الإجازة فيه⁴.

هناك من العلماء جمع في تحصيله بين كتب الفقه المالكية والشافعية، كحال الرحالة القلصادي ذا الميل للمذهب المالكي والشافعي، فقد درس بالأندلس قبل نزوله المغرب الأوسط خلال القرن التاسع هجري/15م، كتابي، "جواهر القرآن والأربعين في أصول الدين" للغزالي عن شيخه أبو الفتوح العقيلي⁵.

¹ - ابن فرحون المالكي(ت799هـ/1397م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج2، تح

محمد الأحمد أبو النور، دار التراث للطباعة والنشر، (د ط)،، القاهرة- مصر، (د ت ن)، ص 372.

² - أحمد التادلي الصومعي(عاش في النصف الثاني من القرن10هـ/16م)، كتاب المعزي في مناقب

الشيخ أبي يعزى، تح علي الجاوي، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، الرباط-المغرب، 1996م، ص 327.

³ - المقرئ، المصدر السابق، ج 5، ص ص 526،534.

⁴ - التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 138.

⁵ - نفس المصدر، ص 59.

ويمكن القول أن كتابي "الوجيز" و"الوسيط" في الفقه، كانا محل إهتمام علماء القرن الثامن والتاسع هجريين مما دفع فقهاء المالكية للإستعانة بالكتابين في النوازل الفقهية الواقعة في المغرب الإسلامي حسب ما وقف عليه الونشريسي في كتابه المعيار، وكذلك حسبما لاحظته ابن عرفة الفهقي في مختصره الفهقي¹.

5. تدريس كتبه العقديّة

ساهم الغزاليون من المغرب في نشر مصنفات المذهب الأشعري من رواية الغزالي عبر تلامذته من جهة، ومن جهة أخرى عبر مؤلفات الغزالي الرائجة في هذه المنطقة.

1.5 دور تلامذة الغزالي في انتشار العقيدة الأشعرية من المغرب الأوسط:

كان إنتشار العقيدة الأشعرية في المغرب الأوسط في وقت سابق لمرحلة وفود التيار الغزالي ومصنفاته العقديّة، وقد ساهم لاحقا تلامذة الغزالي من المغرب في المذهب الأشعري، فهذا الفقيه ابن العربي من خيرة طلابه الناقلين لبعض مصنفاته الأشعرية إلى المغرب، والمتفاعلين مع فكره العقدي في القرن السادس هجري على مستوى التأليف، ورغم وقوع إغراض من المغاربة عن تدريس كتب العقائد التي صنفها أبي بكر ابن العربي والتي يرجع سببها في سياقها المعرفي والتاريخي إلى إنتقاد شيخه أبي حامد الغزالي، الذي إعتبروه ملهمهم الأكبر في تفكيرهم العقدي، لكن ذلك لم يحجب أثره في نشر كتبه العقديّة².

نقل الفقيه ابن العربي نصوص كاملة من كتب الأشاعرة "الموجز" و "اللمع والهداية" للباقلائي(ت403ه/1013م)³ و"الارشاد" و "البرهان" و "غياث الأمم" للجويني فبعضها أخذها عن

¹ - الونشريسي، المصدر السابق، ج4، ص ص158-163، ونفس المصدر، ج 2، ص ص 111،110.

² - خالد زهري، مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري عند المغاربة، بحوث الندوة العلمية التي نظمها مركز أبي حسن الأشعري للدراسات والبحوث العقديّة بالرابطة المحمدية للعلماء حول جهود المغاربة في خدمة المذهب الأشعري، كلية أصول الدين بتطوان، المغرب، 2011، ص 121.

³ - هو الإمام المتكلم الأصولي، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلائي(ت403ه/1013م)، من أشهر علماء بغداد في وقته، له لتصانيف الكثيرة في الرد على الفرق الإسلامية إنتصر فيها لطريقة أبي الحسن الأشعري. للمزيد أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص

الغزالي والبعض الآخر عن أصحابها شخصياً، وكان ابن العربي يعمل على التدقيق عند الإستشهاد بعباراتهم من خلال مصنفاتهم في دروسه العقديّة¹.

ويرجع الباحث عبد اللطيف الشافعي الدور الأكبر في ذبوع العقيدة الأشعرية للفقير ابن العربي من خلال مجهوداته في تدريسها التي تأثر بها كثير من الأتباع التي تعج بهم كتب التراجم والطبقات، مما إعتبره شيخ الأشعرية في زمانه، معاتباً في ذلك بعض الباحثين على وضع المهدي بن تومرت (ت524هـ/1130م)² ضمن كبار رجالات الأشاعرة بالمغرب نتيجة إستدلالهم بقول ابن خلدون فيه، الذي يعترف بمسلكه الأشعري من خلال كتابه "المرشدة"، في حين أن ابن تومرت خرج عن منهج الأشاعرة بدعوة العصمة والتصريح بالمهدوية لنفسه، لذلك فهو ليس محسوباً كواحد من كبارها³.

لا يمكن انكار دور ابن تومرت في تمكين العقيدة الأشعرية في المغرب الإسلامي من خلال ثورته المنهجية التي قام بها في حث أتباعه على العمل بالتأويل في الفهم العقدي بعدما تبين تأثره بمنهج المدرسة الأشعرية بالمشرق، التي ينسب نفسه لها بعد تلقيها على كبار أعلامها أمثال الغزالي، ومن هذه المدرسة حمل منهج التأويل الذي ينتهي بكل ظواهر النصوص الموهمة بالتشبيه والتجسيم إلى التنزيه المطلق لله تعالى⁴.

يمكن القول أن كل من القاضي ابن العربي وابن تومرت يرجع لهما الفضل الأكبر في ترسيخ العقيدة الأشعرية خلال القرن السادس هجري/12م، في المغرب الإسلامي، فالأول مساهمته كبيرة من خلال كثرة أتباعه الحاملين لهذه العقيدة، والثاني مساهمته كانت بفضل العامل السياسي خاصة بعد قيام دولته بالمغرب الإسلامي (دولة الموحدين).

¹ - عبد اللطيف الشافعي، الأشعرية في الغرب الإسلامي من بداية القرن الرابع هجري إلى سقوط دولة المرابطين-دراسة تحليلية نقدية- أطروحة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر 1، الجزائر، 2020، ص 210.

² - هو الفقيه الأصولي الزاهد، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي (ت524هـ/1130م)، المدعي للنسب العلوي، وأنه الإمام المعصوم، وهو صاحب دعوة الدولة الموحدية في المغرب، من خيرة مصنفاته، كتاب المرشدة وأعز ما يطلب. للمزيد انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج19، ص 539.

³ - عبد اللطيف الشافعي، المرجع السابق، ص ص 211، 212.

⁴ - عبد المجيد الجبار، فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت-لبنان،

2.5 كتاب المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى:

يعد كتاب "المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" للغزالي من كتب العقيدة التي قام بتدريسها أبو مدين بن شعيب في بجاية، فقد قرأها عنه الفقيه أبي عبد الله بن حماد الصنهاجي عام 581هـ/1185م، رفقة زملائه قراءة تفهم، ذلك ما وضحه تلميذه ابن حماد الصنهاجي بقوله: (وقيدت كلامه عليه أول يوم من غير أن أعلم أحدا، فلما كان في اليوم الثاني قال لنا الشيخ: لا اريد أن تقيد عني شيئا مما أقول في هذا الكتاب وكاشفنا بذلك)¹.

هناك من نادى بتقديم التربية الصوفية لفهم تحصيله، كالمتصوف الفقيه أبو علي عمر الهذلي (عاش في القرن الثامن هجري/14م) الذي كان يرى أن كتاب الغزالي هذا لا يفهم إلا من خلال تصوفه وتجريد المنكبين على تحصيله من علائق الدنيا كما خلق العبد لأول مرة في حياته، ذلك ما قصده صاحب كتاب سبق المقال لفك العقال فيما جرى له في صحبة الهذلي بقوله: (فمن الغريب ما جرى لي معه، اني لقيت شيخنا ابو علي، وفي يده شرح الأسماء الحسنى للغزالي، فأخذ يطنب في الثناء بما يليق به، ثم إنه قال في أثناء كلامه: لا يدرك أحد هذه المعاني الصوفية إلا بفطرة أخرة... فإذا زجرت نفسك عن الحرام ووقفت مع ما حد الشرع فكأنك فطرت فطرة ثانية)².

3.5 الرسالة القدسية في قواعد العقائد:

حظيت "الرسالة القدسية في قواعد العقائد" للغزالي بمكانة هامة في المجالس العلمية، كمجلس والد عبد الله الشريف التلمساني (ت792هـ/1389م) الذي كان يدرس كتب الغزالي في برنامجه الدراسي ضمن المصنفات المتقدمة التي لم يحظي بتعلمها في مجالسه سوى فئة من طلابه ممن تم تحضيرهم لفهم مصنفات الغزالي³.

تقوم طريقة والد الشريف التلمساني على إمتحان التحضيري في بعض العلوم التي إشتراط تحصيلها في المرحلة الأولى كالفقه والمنطق، ثم يختار الطلبة المتفوقين لأجل دراسة مصنفاته التي وضعها في

¹ - ابن قنفذ ، المصدر السابق، ص 92.

² - عبد الواحد محمد بن طواح (عاش في القرن الثامن هجري/14م)، سبك المقال لفك العقال، تح محمد مسعود جبران، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، ط2، طرابلس-ليبيا، 2007م، ص 183.

³ - التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 226.

المرحلة التعليمية المتقدمة. وقد كان ابن الشريف التلمساني المكنى عبد الله بن محمد التلمساني ممن انتقل لهذه المرحلة ودرس عن والده كتابي، "الإقتصاد في الاعتقاد" وكتاب "المقاصد" للغزالي¹.

تبين حضور "الرسالة القدسية" للغزالي في الدروس العقديّة أكبر من ذي قبل بمدرسة الفقيه أبي عبد الله بن مرزوق، الذي قام بنشرها خلال تنقلاته بين حواضر المغرب الإسلامي، فعند نزوله بحاضرة تونس أخذها عنه الإمام عبد الرحمن الثعالبي مع مؤلفات أخرى، وفي حاضرة تلمسان قرأها عنه، الرحالة القلصادي في فترة مكوثه بها، ويمكن القول أن تدريسها مرتبط بحركية العلماء المستمرة كابن مرزوق ومن تواصل معه في رحلاته بين المدن المغربية².

تبقى "الرسالة القدسية" من خيرة مؤلفاته العقديّة التي تداولها المدرسون في أكثر من مجلس علمي، وهذا الإهتمام يبدا واضحا من الشيخ أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المشهور بزروق (ت899هـ/1494م)، المعتمى بتحصيل التصوف رفقة "الرسالة القدسية" في مجلس شيخه عبد الرحمن المجدولي، وكان من شيوخه كذلك عبد الرحمن الثعالبي، ممن سبق له تحصيلها ودراسة غيرها من مؤلفات الغزالي، ذلك ما يرجح قراءتها هو الثاني والإستفادة منه في مؤلفاته الأخرى³.

خاتمة:

وما يمكن قوله في الأخير أن المصنفات الغزالية ساهمت في نشر آراء وأفكار الغزالي بين الأوساط العلمية في المغرب الأوسط، وهي ليست سوى مرحلة أولى لأجل تمكين معارفه وكسب أرضية مناسبة لتوغلها أكثر فأكثر بفعل تنقلها بين العلماء والطلبة ومن مجلس إلى مجلس بل من كل موضع علم إلى آخر ومن جيل إلى جيل معبرة عن ديمومة واستمرارية تداولها في مختلف الفترات التاريخية، فاتحة بذلك المجال أمام اللاحقون للإستفادة منها في مختلف العلوم وحتى التأليف في أثرها وعلى منوالها، ولما لا ربما الاستفادة من منهجها في حركة التصنيف.

¹ - نفس المصدر، ص 226.

² - نفس المصدر، ص ص 504، 505.

³ - التنبيكي، نيل الابتهاج، ص ص 130، 131.

7. قائمة المصادر والمراجع.

أ.المصادر:

1. الأصمباني عماد الدين (ت597هـ/1201م)، خريدة القصر وجريدة العصر، تح محمد بهجة الأثري، مديرية الثقافة العامة، ط1، بيروت-لبنان، 2014.
2. ابن زيات أبو يعقوب التادلي(ت617هـ/1220م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح أحمد توفيق، (د د ن)، ط1، الرباط-المغرب، 1984.
3. ابن طواح عبد الواحد محمد(عاش في القرن الثامن هجري/14م)، سبك المقال لفك العقال، تح محمد مسعود جبران، منشورات الدعوة الاسلامية، ط2، طرابلس-ليبيا، 2007.
4. المازوني أبو عمران موسى بن عيسى المغيلي(ق 8-9هـ/14-15م)، صلحاء وادي شلف، تح غرداوي نور الدين، دار الخلدونية، ط1، الجزائر، 2017.
5. ابن مرزوق الخطيب(ت781هـ/1379م)، تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام، تح سعيدة بحوت، دار ابن حزم، ط1، لبنان، 2011.
6. ابن مريم التلمساني(كان حيا سنة1025هـ/1616م)، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تح عبد القادر بوباوية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت-لبنان، 2014.
7. المقري أحمد بن محمد التلمساني(ت1041هـ/1632م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج5، تح إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت-لبنان، 1988.
8. السخاوي شمس الدين(ت902هـ/1497م)، الضور اللامع لأهل القرن التاسع، ج6، دار الجبل، (د ط)، بيروت-لبنان، (د ت ن).
9. العامري رضي الدين(ت864هـ/1459م)، بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين، تح أبو يعي عبد الله الكندري، دار ابن حزم، ط1، بيروت-لبنان، 2000.
10. العبدري محمد البلنسي(توفي نحو720هـ/1320م)، الرحلة المغربية، تح سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط1، الجزائر، 2007.

11. ابن فرحون المالكي(ت799هـ/1397م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج2، تح محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطباعة والنشر، (د ط)، القاهرة-مصر، (د ت ن).
12. القلصادي ابو الحسن علي الأندلسي(ت891هـ/1487م)، رحلة القلصادي، تح محمد أبو الأجنان، الشركة التونسية للتوزيع، (د ط)، تونس، 1978
13. ابن قنفذ القسنطيني(ت810هـ/1408م)، أنس الفقير وعز الحقير، تح محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، (د ط)، الرباط-المغرب، (د ت ن).
14. الشراط ابن عيشون(ت1109هـ/1797م)، الروض العطر للأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تح زهراء النظام، مطابع النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء-المغرب، 1997.
15. التادلي أحمد الصومعي(عاش في النصف الثاني من القرن 10هـ/16م)، كتاب المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، تح علي الجاوي، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، الرباط-المغرب، 1996.
16. التجاني محمد بن عبد الله (عاش في القرن 8هـ/14م)، رحلة التجاني، تح حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتب، ط1، ليبيا، 1981.
17. التميمي محمد بن عبد الكريم(ت603-604هـ/1207-1208م)، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس ومايلها من البلاد، ج2، تح محمد الشريف، مطبعة طوب بريس، ط1، الرباط-المغرب، 2002.
18. التنبكي أحمد بابا(ت1036هـ/1627م)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج1، تح محمد مطبع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، المغرب، 2000.
19. التنبكي أحمد بابا(ت1036هـ/1627م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح عبد الحميد عبد الله هرامة، دار الكاتب، ط1، طرابلس-ليبيا، 2000.
20. الثعالي عبد الرحمن بن مخلوف(ت875هـ/1470م)، غنيمة الوافر وبغية الطالب الماجد وليمها رحلة عبد الرحمن الثعالي، تح محمد شليب شريف، دار ابن حزم، ط1، بيروت-لبنان، 2005.
21. ابن خلدون عبد الرحمن(ت808هـ/1406م)، مقدمة، مراجعة محمد الناصر الدين الألباني، دار ابن الجوزي، ط1، القاهرة-مصر، 2010.
22. الذهبي شمس الدين(ت748هـ/1374م)، سير أعلام النبلاء، الأجزاء (17-19-12)، تح شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت-لبنان، 1989..

23. ابن غازي محمد بن علي(ت910ه/1504م)، فهرس، تح محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر، ط1، تونس، 1984.
24. الغبريني ابو العباس(ت714ه/1315م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببيجاية، تح عادل نويهم، دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت-لبنان، 1979.
25. الونشريسي ابو العباس(ت914ه/1509م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب، ج12 و5، تح محمد حجي وآخرون، دار الغرب الاسلامي، (د ط)، بيروت-لبنان، 1981.

ب. المراجع:

1. عبد المجيد الجبار، فصول في الفكر الاسلامي بالمغرب، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت-لبنان، 1992.
2. عبد اللطيف الشافعي، الأشعرية في الغرب الاسلامي من بداية القرن الرابع هجري إلى سقوط دولة المرابطين-دراسة تحليلية نقدية- أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر1، الجزائر، 2000.
3. علي عشي، المغرب الأوسط في عهد الموحدين، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ والآثار، جامعة الحاج لخضر باتنة(الجزائر)، 2012.
4. خالد زهري، مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري عند المغاربة، بحوث الندوة العلمية التي نظمها مركز أبي حسن الأشعري للدراسات والبحوث العقديّة بالرابطة المحمدية للعلماء حول جهود المغاربة في خدمة المذهب الأشعري، كلية أصول الدين بتطوان، المغرب، 2011.
5. يوسف علي بن إبراهيم العريبي، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط1، الرياض-السعودية، 1995.